مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (6)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (6) 2013

الأساس الأخلاقي للمعرفة العلمية في الفلسفة البوبرية

الدكتور سليم بركات*
نداء محمود سليمان**

(تاريخ الإيداع 7 / 1 / 2013. قبل للنشر في 1 / 10 / 2013)

□ ملخّص □

لقد تناول البحث دراسة تحليلية نقدية للأساس الأخلاقي الذي تُبنى عليه المعرفة العلمية من وجهة نظر فيلسوف العلم المعاصر كارل بوبر، وذلك من خلال تبيان رأيه في كون المعرفة العلمية معرفة ناقصة عندما لا تُؤسس على نهجٍ معرفي ومضمونٍ أخلاقي يحميها من الانزلاق والخطأ، مؤكداً على وجود علاقةٍ وثيقة وارتباطٍ قوي بين المعرفة والأخلاق، فإذا انحرفت مالت معها معيارية العلم بأكملها.

أظهرت النتائج أن المعرفة عامة، من حق الجميع امتلاكها، ففيها تكمن الحقيقة، ولبلوغ هذه الحقيقة لابد من اتباع منهجيات عديدة كما يقول بوبر، أهمها النهج النقدي والحوار العقلاني، الذي ندرك بواسطتهما أن الإنسان يخطئ وبالتالي فمعرفته قد تكون خاطئة، وللوصول إلى المعرفة العلمية الحقيقة لابد من الطريق التكذيبي الذي نخضع فيه الفرضية لأنواعٍ مختلفة من الاختبارات.

أشار بوبر إلى أن الإنسان المتلقي المتبصر هو الذي يستطيع ممارسة هذه العمليات المنطقية، والإنسان المتبصر هو كائن مسامح بطبيعة الأحوال، غير متعصب، منفتح،ينقد ويقبل أن ينتقده الآخرون، وغير محتكر للمعرفة, وعلى هذا الأساس تُبنى المعرفة على قاعدة، حيث تكون قاعدتها أخلاقية بحتة، ودونها تفقد معناها ومصداقيتها.

الكلمات المفتاحية: المنهجية، النقد، الأخلاق، المعرفة , بوبر

* أستاذ– قسم الفلسفة – كلية الآداب– جامعة دمشق– دمشق– سورية.
** طالبة دراسات عليا(ماجستير)– قسم الفلسفة– كلية الآداب – جامعة دمشق– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (6)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (6) 2013

The moral basis of scientific knowledge in popper philosophy

Dr. salim Barakat [*]
Nidaa M Suleiman[**]

(Received 7 / 1 / 2013. Accepted 1 / 10 / 2013)

□ ABSTRACT □

The research addressed a critical analytical study of the moral basis of scientific knowledge from the viewpoint of the contemporary philosopher of science Karl popper, throughout his opinion on the fact that scientific knowledge is incomplete when not based on cognitive approach and moral content which protect it from slipping and error, stressing the close relationship and the strong correlation between knowledge and ethics, which if deviated affected the standards of science as a whole.

Results showed that knowledge, generally, is everyone's right to possess, threr resides the truth, and to reach this truth there must be many methodologies, says popper, the most important of which is the critical approach and rational dialog, by which we realize that the human makes mistakes and, consequently, his knowledge may be wrong, and to access the real scientific knowledge the skeptical approach should be followed in which the premise is tested in different ways.

Popper pointed out that the insightful human recipient can exercise these logical operations, and the insightful human is naturaly forgivable non- fanatic, open to criticism, non-monopolistic of knowledge and therefore the basis of knowledge is purely ethical, without which knowledge loses its meaning and credibility.

Key words: methodology, criticism, ethics, knowledge, popper.

[*]**Professor, Department of philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University, Damascus, Syria.**
[**]**Postgraduate student, Department of philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University, Damascus, Syria.**

مقدمة:

ثمة نماذج مختلفة للمعرفة، ولكل نموذج أصله ومنبعه ، ورغم وجود خلاف بين الباحثين والعلماء والفلاسفة في تحديد منابع هذه المعرفة فقد سعى الفيلسوف **بوبر*** إلى إزالة هذا الخلاف، كما وحد بين هذه المصادر منطلقاً من أن الموجود الإنساني الكائن الوحيد من بين جميع الكائنات الذي يتمتع بالوعي والحرية، ويعمل وفقاً لمنهجية علمية عالية الدقة والأداء.

هذا الاعتراف كان قد وضع فيلسوفنا بمواجهة أسئلة عديدة من نوع، هل يشكل الإنسان منبعاً رئيساً ومصدراً هاماً للمعرفة؟ ما مصادر المعرفة لديه وما أفضلها؟ وهل امتلاك المعرفة يقودنا إلى امتلاك أفضل نظام مؤسساتي قائم على أساس من العقل والحرية والتسامح والديمقراطية؟ هل من حقنا نحن البشر أن نحلم في بناء عالم جميل حقاً؟ كيف يكون ذلك أين تقع مسؤوليتنا العلمية وما علاقة كل هذا بأخلاقيتنا؟

هذه الأسئلة وغيرها سيجيب عليها بوبر في سياق مناقشتنا لبحثنا **(الأساس الأخلاقي للمعرفة العلمية في فلسفة بوبر)**، لينتهي البحث معه إلى أن الإنسان رغم معرفته القيِّمة لا يعني أنه مصيب دائماً وإنه لايخطىء، فالعقلاني الحق هو الذي يؤمن بأن الحقيقة ليست احتكار له أو لغيره، وهو الذي يرى أن" **الجدل النقدي وحده القادر على مساعدتنا في رؤية الفكرة من جوانبها المتعددة وأن نحكم عليها حكم صائباً**" [1].

أهمية البحث وأهدافه :

1- تكمن أهمية البحث في التعرف على موقف فيلسوف العلم كارل بوبر، ومنهجيته العلمية التي كان لها بالغ الأثر في فلسفة العالم، ابتداءً من المرحلة المعاصرة وحتى أيامنا هذه، بما قدمته من آراءٍ وطروحات وأفكار ذات أهميةٍ بالغة، ساهمت في تطور المنهج العلمي والمعرفة العلمية والنظرية الأخلاقية، عبر إعادة صياغة المسائل، ومن خلال انتقالنا بالمشكلة إلى أرضية جديدة، متبعاً أسلوباً مختلفاً وسلوكيةً مغايرة في التعاملِ مع الفرضيات على إنها غير صادقة وغير صحيحة دائماً.

2- لقد هدف البحث إلى تبيان أن المعرفة العلمية ناقصة عندما لا يحيطها سياج أخلاقي، يمارسُ فيه الأفراد حقوقهم العلمية في جوٍ من الديمقراطية والحرية والحب والتسامح، مبتعدين عن التعصب والتعنت وكل أشكال الجمود والتقوقع، فاتحين الأبواب لمعارف جديدة.

3- كما هدف البحث إلى تبيان مقدار العلاقة بين الأساسين العلمي والأخلاقي للمعرفة، وكيف أن المعارف العلمية تؤسس على مضمون أخلاقي، وبالتالي كيف أن معيار العلم ينحرف إذا انحرفت الأخلاق.

***- كارل بوبر: فيلسوف نمساوي من أبوين أصلهما يهودي،له موقف نقدي من الماركسية، له اهتمامات رياضية وفيزيائية، اهتم بنظرية الكوانتم، من مؤلفاته: مشكلتان أساسيتان لنظرية المعرفة ، منطق الكشف العلمي،عقم التاريخانية ،المجتمع المفتوح وأعداؤه ، تخمينات ودحوضات.....**

[1]- كارل، بوبر: بحثاً عن عالم أفضل ،ت أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1992 ص248.

منهجية البحث :

نظراً لأن البحث يقوم أساساً على توضيح العلاقة بين المبدأ الأخلاقي والمبدأ العلمي، فإن أفضل أداة منهجية وجدناها تخدمنا المنهجية التحليلية التي ساعدتنا في الولوج إلى داخل المفاهيم و العمل على تحليليها، وعلى كيفية التعامل مع النصوص المختارة .

كما استخدمنا في بحثنا المنهج النقدي الفلسفي الذي حدد القضايا وعالج المصطلحات، ووقف على حدودها في إطار تاريخي ولدتْ في ظل ظروفه ساعدتنا على الدخول في عمق فلسفة بوبر لتقدم لنا أفكار جديدة ومنهجية مبتكرة .

النتائج والمناقشة:

لقد مثل بوبر في فلسفة العلم حالة فريدة من خلال نقده للمنهجين المعرفيين الاستقرائي* والتاريخاني*، بوصفهما غير نافعين لتطور المعرفة العلمية، طارحاً المنهج التكذيبي النقدي بديلاً عنهما، فهو برأيه صالح لإزالة الأخطاء لمصلحة الحقيقة التي تستحق منا كل جهد وكل اهتمام، وهو الأكثر ضماناً للتطور العلمي وللفلسفة، ومن دونه لا يمكن أن تحلم الفرضيات لأن تصبح نظريات معترف بها، بالرغم من كون معظم النظريات العلمية هي" **نظرياتٌ وصفية تشير إلى ما قد نلاحظه في أي قطاع من الزمان أو المكان**"[2] .

يجزم بوبر بطريقة غير قابلة للشك بعدم يقينية المعرفة، فالعلم بالنسبة له دائماً" **افتراضي** "[3]، إحدى منابعه الحدس رغم تعدد واختلاف المصادر، وأما الآلية المتبعة لديه في التأكد من صحة الفكرة والتحقق من صوابيتها، فقد كانت الآلية التكذيبية والمنهجية الافتراضية "**التي لا تحقق اليقين المطلق لأي من القضايا العلمية التي نختبرها وإنما تحتفظ هذه القضايا دائماً بطابع الفروض المؤقتة**" [4] ، فما أحدث الاكتشافات التي تحققت حتى تاريخه إلا إنها ذات صبغةٍ فرضية أنية ومهددة بالتغيير لصالح اكتشاف جديد كما يقول بوبر.

هذا ويحدثنا فيلسوف العلم المعاصر عن مداخل كثيرة للمعرفة, والتي لا يحدها حد كما يقول، يذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1_ مدخل المشاهدة والملاحظة 2- المدخل العقلي 3- مدخل من خلال المعرفة المباشرة (الحدس) 4-مدخل المخيلة 5- التأمل الخ.... وغيرها من المداخل و المنابع الأخرى ذات الأهمية.

ليقرر بعدها بوبر أن جميع هذه المصادر المباشر منها وغير المباشر هي من فعل الإنسان، الإنسان المنفتح طبعاً الذي ينتمي إلى عالم العقلانية والحقيقة، الإنسان النموذجي الذي يناقش ويتعلم وينتقد ويقبل أن ينقده الآخرون.

---

[2] – كارل،بوبر: منطق الكشف العلمي ،ت ماهر عبد القادر علي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص32.

***– المنهج الاستقرائي: طريقة من طرائق العقل التي يُنتقل فيها من الحوادث إلى المبادئ العامة والقوانين، له نوعان صوري وموسع، يستخدم في مجال العلوم الإمبريقية، مثال ذلك كل المعادن تتمدد. بالحرارة.**

***–المنهج التاريخاني: طريقة في معالجة العلوم الاجتماعية تفترض أن التنبؤ التاريخي هو غايتها الرئيسية، كما تفترض إمكان الوصول إلى هذه الغاية بالكشف عن القوانين أو الاتجاهات أو الأنماط أو الإيقاعات التي يسير التطور التاريخي وفقاً لها. انظر كارل بوبر، بؤس الايدولوجيا ، نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، ص 13.**

[3] – المصدر نفسه ، ص15.

[4] – كارل، بوبر: بؤس الايدولوجيا، نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي ، ت عبد الحميد صبره ، دار الساقي ، القاهرة، 1992 .

فهو الوحيد الذي يتحمل المسؤولية، وينظر إلى الوقائع العلمية في ضوء مبادئ الفكر ونور التجربة ، لكن رغم كل هذا فهو شخص غير عارف يخطئ مراتٍ كثيرة، وخطأه هذا يدل على عدم عصمته، كما يبرر المحاولات الكثيرة والمتكررة التي يقوم بها الباحث عندما يفتش عن الحقيقة ،ورغم اختلافنا نحن البشر في كل شي تقريباً، حتى في طريقة التحصيل ومحاولات البحث لاستكشاف شي، إلا أننا جميعاً" **خطاءون وجاهلون بل إننا جميعاً في جهلنا اللا متناهي متساوون**"[5] كما يقول بوبر.

فلا يوجد أحد معصوم من الخطأ برأيه وكذلك معرفتنا، و لهذا صفته الايجابية، فمعرفتنا الخاطئة تقودنا وتجبرنا على البحث عن الحقيقة لاكتشافها ومعرفتها، هذا وتعد المشكلات بجميع أنواعها العملية أو النظرية أول ملمح من ملامح البحث عن الحقيقة ،هذه الحقيقة التي يجب أن يكون كل شيْ في خدمتها حسب ما يقول بوبر بدءاً من "**السجال النقدي**"[6]، وانتهاءً بالتسامح الذي يجبرنا على أن ننظر إلى الآخر نظرة تستحق منا كل ثقة وكل جدية، وعلى الرغم من وجود أخطاء كثيرة إلا إنه يجب أن نتعاون جميعاً في إيجاد طريقة مناسبة لكشفها وإزالتها حسب رأي بوبر، فهي إذاً عملية بحث مستمرة لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة، هذه هي مسؤوليتنا العلمية وأمانتنا الأخلاقية حيث تسكن الحقيقة وتتربع، ولتقبع هذه الحقيقة بين أيدينا ونستحوذ عليها لابد من إتباع ثلاث طرق رئيسية :

الطريق الأول: النقد الذاتي والتعددية النقدية :

إن أول الطريق للوصول إلى الحقيقة هو الطريق النقدي الفاعل،" **فهو الوضع الثابت الذي يُسمح فيه لكل النظريات أو أكبر عدد منها أن يتنافس مع مماثلاتها من النظريات الأخرى لمصلحة البحث عن هذه الحقيقة**" [7]، لتنطوي المنافسة بهذا على عمليتين عقليتين كبيرتين يمارسهما أصحاب العقول الممتلئة وليست الفارغة بالطبع، هما عمليتي الصراع العقلي والاستبعاد النقدي .

فإذا كان الجدل يعني إمعان النظر جيداً في ثنايا الأفكار والنظريات المتصارعة لتبيان الحقيقة حسب ما يقول بوبر، وهذا يمثل الوجه الايجابي للعملية العقلية الأولى، كان لانزياح الأطروحات الرديئة لتحل محلها الأفضل والأجود بمثابة الوجه الآخر كونها عملية ديالكتية مستمرة، فمعظم النظريات الحديثة كانت في معظم الأحوال نتيجة لممارسة انتقاديه عالية الأداء قادتنا إلى افتراضات و مشكلات وعن طريقها توصلنا إلى نظريات مؤقتة من ناحية أولى، فاتحين الأبواب لأفاق جديدة من ناحية ثانية ، ومخضعين الصادقة لدورة اختبارية قاسية من الناحية الثالثة، فكلما استطاعت المقاومة كلما كانت أكثر ثباتاً وصدقية، أما إذا فشلت فمعنى هذا في عرف بوبر بداية لمشروع تفكيري جديد، لنصل في نهاية المطاف معه وبواسطة النقد إلى وضوح عميق في التطلع إلى اكتشافاتنا ومشكلاتنا، متخلصين من تلك العوائق التي تفسد معنى الحقيقة، ولتصبح في مأمن عن كل الأفكار التي سبقتها كالآراء والمعتقدات وغيرها، وهكذا يكون الوضوح والنقاء والصفاء من الصفات الأصيلة لأي عملية بحث أو نقد أو اكتشاف،" **فكلما ازدادت صعوبة**

---

[5] **–كارل، بوبر: بحثاً عن عالم أفضل ،مصدر سبق ذكره، ص71.**

[6] **– كارل، بوبر :التسامح بين شرق وغرب–دراسات في التعايش والقبول بالأخر، ت ابراهيم العريس ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ،ص93.**

[7] **– كارل، بوبر: بحثاً عن عالم أفضل، مصدر سبق ذكره، ص233.**

المشكلة الأساسية وكلما ازدادت الجسارة في محاولة حلها كلما كانت المشكلات الجديدة أكثر إثارة "[8] وكلما كان ذلك حافزاً لنا لنتعرف أكثر على هذا العالم المليء بالأحداث والاكتشافات والمغامرات .

إذاً من وجهة نظر بوبر لا بد من إتباع عدة طرق لنتعرف على هفواتنا واكتشاف أخطائنا أهمها الممارسة النقدية التي تعني الانتباه جيداً إلى نظريات وافتراضات الآخرين، ومن ثم المبادرة إلى تفنيد نظرياتنا ومحاولاتنا نحن لحل المعضلات والمشكلات القائمة , باختصار إنها طريقة في التفكير واعية وعقلية تفرض علينا جملة من الواجبات والالتزامات أهمها:

1_عدم الامتثال لأي أوامر أو سلطة خارجية غير سلطة العقل ، فلا سلطة لدولة ولا لفكرة ولا لفيلسوف ولا لنظرية، فجميعهم أنيُّون.

2- أن نكون على قدرٍ عالٍ من التحمل والصبر والمثابرة .

3- أن نتعامل بجدية مع المعطيات وأن نمتلك ناصية الأمور، نتمتع بكامل أهليتنا الناقدة، حيث ينبع قرارنا من عقلنا الذي يملك الحق في القبول أو الاعتذار.

4- أن نكرس مفهوم التعاون بيننا، ووفقاً لهذا يتوجب عليكَ مساعدتي، كما إن واجبي العلمي والمهني والأخلاقي يفرض عليَّ نفس المهمة ، يكمن واجبك بنقدك لافتراضاتي" **بأقصى ما تستطيع وبأكبر قدر من الموضوعية** [9]، في مقابل واجبي الذي يكمن **بتقبلُّي لتكذيبك نظريتي وتقريري** "[10]، كما يكون بتقديم وبذل أكبر مجهود أملكه لنصرتك في تحليلها .

هذه باختصار مرتكزات أي عقل ناقد، والذي يأمل بوبر استخدامه من كل البشر يوماً ما، فهذا دليل على اعترافهم بفقدانهم المعرفة وأخطائهم غير المنتهية، ولطالما كانت المعرفة متجددة والبشر خطاءون، وحسب ما يبين لنا "**هناك أخطاء مذنبة ، أخطاء يمكن، و يتوجب بالتأكيد، تفاديها** "[11]، لأنها أخطاءً غريزية، نابعة عن طبيعتنا الفطرية أو ادعائنا بعدم المعرفة أو "**عن واقع أننا لم نتدرب بعد بما فيه الكفاية على ممارسة النقد الذاتي**"[12].

إنها حسن النية إذن في ممارسة النقد صادرة عن سوء استخدام التفكير والمنافسة وعن السرعة والتهور اللذان يؤديان إلى التردد والثرثرة والإملاءات الجرداء والعقيمة، أما إذا أردنا أن نقترب من الحقيقة فعلينا بالممارسة النقدية الفعالة والمناقشة العلمية الحرة.

مسألة مهمة جداً يكاد يتفرد بها بوبرعن غيره في مماثلته التقريبية بين الكائنات الحية(الحيوانية – والنباتية) وعلاقتها بالإنسان من ناحية الممارسة النقدية، فهذه الكائنات تحسن النقد، بل وتجيده، لكن على طريقتها الخاصة فالتجديد والتحول والتأقلم والتنظيم جميعها أوضاع ، تؤكد على أن الكائنات الحية تمارس بطريقة معينة نمطاً ما تعدل بواسطته في طريقة حياتها بل وتدفعها نحو تعين وتكيف أفضل ، فحسب رأيه "**كل من يحيا يبحث عن عالمٍ أفضل، البشر والحيوانات والنباتات، وحتى الكائنات وحيدة الخلية، كلها في حالة نشاط دائم تحاول أن تحسن وضعها، أو على الأقل تحاول أن تتجنب التدهور**"[13] .

---

[8] – **المصدر نفسه ، ص70.**

[9] – **المصدر السابق، 68.**

[10] – **المصدر نفسه ، ص68.**

[11] – **كارل، بوبر:التسامح بين شرق وغرب، ص98.**

[12] – **المصدر نفسه، ص98.**

[13] – **كارل، بوبر: بحثاً عن عالم أفضل، مصدر سبق ذكره، انظر(ملخص في صورة مقدمة) ص7.**

إذاً ليس الإنسان هو الوحيد حسب بوبر الذي يبحث عن الأمان، فكل من يعيش على هذه الأرض يفعل ذلك، فهل هي محاولة منه ليبرر فكرته التي تقول أن الكائنات الحية جميعها تمتلك عقلاً قادراً على التكيف مع الوسط المحيط.

الطريق الثاني- المعرفة اليقينية:

تكمن الحقيقة في معرفة العالم، هذا العالم الذي ليس من السهل معرفته، وللوصول إلى ذلك لابد من البحث عنه، ففي التعرف عليه تنطوي الحقيقة، وللحقيقة معيارٌ أساسيٌ لا يجب التخلي عنه ألا وهو التحقق منها ومن مدى انطباقها على أرض الواقع ، وإن كان بعضهم ينكر وجودها إلا أن هذا لا يغير من وضعها شيء، لذلك من الواجب حسب بوبر بذل قصارى جهدنا في سبيلها،لأنها تستحق ذلك ولكن لا نقصد أية معرفة، فالمعارف أنواع منها البسيط ومنها المعقد، ومنها الساذج والعلمي، منها اليقيني وغير اليقيني، وأما بوبر فيطالبنا هنا بالحقائق العلمية الثابتة والمعارف اليقينية.

فالمعارف اليقينية حسب ما يقول بوبر: هي معارف ذات صبغةٍ علمية مبسوطة دائماً للمراجعة والإعادة، فكل حقائقنا بُنيت على المعرفة العلمية اليقينية، لذلك تعد هذه المعرفة" **من أفضل وأهم ما نملك من معارف** "[14] برأي فيلسوفنا.

كما تتألف المعرفة اليقينية المؤقتة حسب بوبر من نوعين من المعارف:

أ_ المباشرة كالحدس*

ب_ غير المباشرة كالفروض

وكلا المعرفتين يجب تقييدهما بأشكال متعددة من التجارب رغم أن مطلب العلم الحقيقي هو تأكيد النظرية وليس تفنيدها، لكن هذا حسب بوبر لا يمكن أن يغير من حقيقة الأمر شيء، فلإثباتها علينا اختبارها،" **ولا نستطيع القول إنها صمدت أمام الاختبارات العسيرة إلا إذا فشلت جهودنا التي نبذلها لتكذيبها**"[15].

وكما يرى فإن للمعرفة اليقينية صفات، أهمها أنها معرفةٌ محايدة بعيدة عن المعرفة الفردية التي يستحوذها شخص بعينه كمعرفة الكيميائي والطبيب والملحن والموسيقي، لكن هذا النوع من المعارف لا نعول عليه، إنما المهم هو *المعرفة الحقيقية العامة والموضوعية التي تتألف من المعرفتين السابقتين(الحدوس والفروض)*،فهي التي تحقق لنا انجازات علمية، كما تضعنا بمواجهة حلولٍ افتراضية لمشكلاتٍ عالقة، "**ليزداد بعد ذلك عدد المشاكل غير المحلولة وتزداد معها درجة صعوبتها، والحق إنها تزداد بأسرع من زيادة الحلول، ولقد يمكننا فعلاً أن نقول إنه بينما تكون معرفتنا الفرضية متناهية فإن جهلنا لا متناه**"[16]، لكن يعود بوبر ليؤكد بأن المعارف بأنواعها المتعددة جميعها افتراضية، يقينيتها غير محققة على الأقل لفترة وجيزة، فهي قابلة للتحسين والمراقبة على الدوام ،وعلى هذا فإن جميع معارفنا زالت عنها صدقيتها بما في ذلك تلك التي نجزم بدقتها وصحتها، وأما ما ثبت بالدليل القاطع أنه حقيقيٌ حتى

---

[14]- كارل، بوبر: بحثاً عن عالم أفضل، ص13.

***- الحدس: كل معرفة تاتي بشكل مباشر وعفوي يكون مصدرها الحواس ، يتم بواسطة الحدس إدراك الأشياء دون الحاجة إلى عمليات ذهنية ، له عدة أنواع نفسي كفكرة ،عقلي كمبادئ العقل ،كشفي كحل مسألة رياضية فجأة.**

[15]- كارل، بوبر: بؤس الاديولوجيا، ص132.

***- انظر كارل، بوبر: بحثاً عن عالة أفضل، ص 240-241.**

[16] - المصدر نفسه، ص240.

اللحظة التي لمْ يُبرهنُ بها على نقيضها فلا يحق لأحد أن يُشكك أو يُغرر بها، فكل حقيقةٍ تعرضت إلى عددٍ لانهائي من التكذيبات حتى استحقتْ هذا اللقب.

ثمة طرقٌ ثلاثة تساعدنا في بلوغ الحقيقة ،كما تُمكِّننا في نفس الوقت من مناقشة الأمور بطرقٍ تفكيرية واعية، فالمناقشة العملية الواضحة والصريحة تعلمنا وتدربنا حتى ولو لم نصل إلى مصالحة حول فكرةٍ بعينها، إلا أن هذه العملية ستساعدنا كثيراً في تجنب الأخطاء، وتصحيح المسار، والابتعاد عن كل ما هو غامض ومجهول، وهذا يكون عبر:

أ- تحمل الأفراد وتقبلهم ،وإعطاء النفس فرصة أخرى، وفتح الأبواب على مصارعها لندع أفكارَ الآخرين تتسللُ إلى عقولنا وأفئدتنا، فأفكارهم تستحق أن ننظَر إليها بجدية.

ب_ النظر إلى الآخر بوصفه نداً ونظيراً لنا يمتلك المعرفة إلى جانبنا، فهي غير مقيدة أو محدودة بشخص وإنما لمن يريدها ،وعلى هذا يجب البحث عنها، باختصار ينصحنا بوبر أن نظل قلقين مرتابين،" **ولا يمكن التخفيف من حجم هذا القلق ولو لفترةٍ يسيرة إلا عبر إعادة صياغة المسألة وعبر النزوح بها إلى أرضيةٍ جديدة** "[17].

ج- الاعتراف بأن المعرفة متاحة للجميع وليست حكراً على أحد ،والكل صاحب الحق في حيازتها، وكما أننا نحتاجها فنحن نحتاج الآخرين، ولا نتقدم إلا بتقبل وجودهم "**فنحن سوياً قد نتعلم من بعضنا طالما أننا لم ننسى أن المهم ليس هو من منا على صواب وإنما هو الاقتراب من الحقيقة الموضوعية**"[18]، إن الشعور بالحاجة إلى أفكار الآخرين يجب أن يُعمَّم بل ويصبح جزءاً من حياتنا الفكرية، فنحن نحتاج تعليقاتهم لفرضياتنا والتي يكون تقييمها بفضل مراقبتهم لها .

بهذا الشكل نصل سويةً إلى ما نريد, إنها الحقيقة التي طفت على السطح عبر تراكم جهود الإنسان على مراحل التاريخ كما يرى بوبر، كما كان ذلك عبر طرح الأسئلة والاستفسارات، فتكون بهذا حسب رأيه طبعاً مكتسبة وليست فطرية لم ولن توجد في الطبيعة ولا في أي دين من الأديان ولا بأي مكان هكذا جاهزة مرئية.

الطريق الثالث – المحاكاة العقلية (الحوارية):

يأتي الدخول بهذه المرحلة بعد الحصول على أية معلومة أو معرفة، والتي يجب النظر إليها كما بينا سابقاً باعتبارها معدومة الصحة، بل يجب معاملتها على أنها خاطئة، وهذا الفعل لا يمارسه إلا الأفراد المتبصرون المتوقدون، هؤلاء هم المنفتحين الذين يمتلكون ذهناً صافياً كما وصفهم بوبر في مقابل المتعصبين والمتحجرين أصحاب الرأي الانفرادي والنظرة الواحدة المتطرفة التي تتعامل مع معارفها بوصفهما حقائق ثابتة لا يمكن التشكيك بمدى صدقها وصحتها، وعلى هذا فإن فيلسوفنا يقدم لنا إنموذجين مختلفين من البشر.

أ- **الإنموذج الأول:** المتعصب المنغلق، يحبذ استخدام العنف ،ويستخدم سياسة الانفعال في تنفيذ برامجه وسياساته.

ب-**الإنموذج الثاني:** المستنير بالعقل، المتكلم بالمنطق، الحذر والذكي، يؤمن بأهمية العمل وضرورة المناقشة وجوب التغيير، يؤكد على الحرية وعلى ممارستها خاصةً السياسية والفكرية، فلا حرية لأحدهما دون الآخر، لتكون "**الحرية السياسية إذاً شرطاً لانتفاع كل فردٍ منا بعقله الانتفاع الكامل**"[19].

---

[17] **-كارل، بوبر: التسامح بين شرق وغرب، ص13.**

[18] **- كارل، بوبر:بحثاً عن عالم أفضل ، ص249.**

[19] **- المصدر نفسه، ، ص251-252.**

ويؤكد بوبر أنه إذا كانت سياسة التعصب سمة الفكر المتحجر، فإن سياسة مداولة الأطروحات سمة الفكر المتجدد، وبانعدام هذا السياسة ينعدم الفكر المنطلق، والذي بدوره يحتاج إلى مظلةٍ ديمقراطية ودولةٍ متحررة تحميه ويُمارس في كنفها، ولكن بالرغم من حاجتنا المتماثلة للدولة والحرية إلا إنه يتوجب الحذر من ممارسات سلطة الدولة العشوائية في فعل الحرية كما يقول بوبر، ليبرز هنا الدور الشخصي والاهتمام الذاتي لكلٍ منا (الفرد والدولة) ، إذ يجب أن تكون الرقابة الذاتية السقف الذي يظللنا ويحمينا جميعاً من أنفسنا ، فنساعدها وتساعدنا في حل مشاكلنا والتي لا تنتهي إلا ببسط سلطتها، فهل هي التوصية بحكومةٍ دكتاتورية مستبدة من قبل بوبر الذي يؤمن بمبدأ وضع كل شيء بقبضتها .

إن عقله يقبل بهذا الحل لكنه يرفضه بداعٍ أخلاقي فيقول علينا أن نقبل بحلولٍ جزئية وحلولٍ توفيقية، "**وألا نسمح لحبنا للحرية أن تجعلنا نغفل مشكلات سوء استخدامها**"[20]، تكمن العقلانية في كيفية التعامل مع المشكلات إذاً وفي كيفية التعامل مع السلطة، فحكومتنا يجب أن تكون مرشدة موجهة ،حاضنة لحقوقنا وموجهة لسلوكنا، فالحرية برأيه واسعة للحد الذي يسمحُ فيه الآخر لنفسه بالتدخل وفي الاعتداء علينا، عندئذ يكون حقنا في الدفاع عن أنفسنا مشروعاً فهو الهدف الوحيد الذي يسمح لنا بالتدخل في حريات الآخرين.

وفي هذا الموقف بالذات يجب أن نتخلى عن أخلاقيتنا قليلاً كما يقول بوبر، ولكن هذا لا يكون في أية معاملة ولأي سبب ، بل لهدفٍ نبيل ، إنه الإحساس بالآخرين ومشاركتهم همومهم ، فهل يبرز دور الدولة هنا في مساندتنا في تحقيق هذا الهدف؟

قد يتساءل شخص هل يعني هذا أن دولتنا تؤيدنا في الاعتداء على الآخرين، يجيب بوبر نافياً ذلك مشيراً إلى إنه عندما ندافع عن أنفسنا وعن الآخرين فهذا يعني إنها تعلمنا المحبة وليس الكره أو العدوان، وهنا تكمن مسؤوليتنا وأخلاقنا فنحن جميعاً معنيُّون إلى حدٍ ما بهيكلة هذه الحكومة حسب ما تقتضي المصلحة، و تنظيم عمل مؤسساتنا السياسية بحيث تبدو قادرةً وبإمكاناتها المتواضعة في الوقت الذي يظن مُعتليها إنها في قبضتهم , فهذا يعني وفي الطرف المقابل فإننا نمارس حرياتنا بأنواعها وبكامل إرادتنا.

وعلى هذا تكون الحوارية العقلية مطلوبة، والأهم من هذا إقامتها على دعائم أخلاقية حقيقية نذكر منها:

1_ دعامة القابلية للخطأ : وهي الأساس الذي يقول إن الآخر لا يختلف عنا، فلو قبلنا جدلاً أنك" **على صواب وأنا على خطأ فلا ريب أننا قد نكون سوياً مخطئين**"[21] ، إنه المبدأ الذي يقرُّ و يعترف بعدم وجود شخص يدعي المعرفة أو يعرف الحقيقة الكاملة، فالكل يهفو ويخطئ، ولتخفيف من وطأة هذا الخطأ ينصحنا بوبر بفتح باب التحقيق والمناقشة وطرح الأسئلة، فأي معلومة مهما كانت بسيطة لا يجب النظر إليها بازدراء فما نعتقده ساذجاً قد يكون ذا قيمةٍ علميةٍ كبيرة هذا من جهة، ومن جهةٍ ثانية إنه أذا أردنا الاستمرار في الحياة علينا أن نعيش في حالة قلق وتوتر،" **التوتر الناتج عن المجهود الذي تطالبنا به باستمرار الحياة في مجتمع مفتوح ومجرد جزئياً، وعن السعي إلى العقلانية، والامتناع عن بعض احتياجاتنا الاجتماعية العاطفية على الأقل والاهتمام بأنفسنا وقبول المسؤوليات** "[22]، ومن جهة ثالثة إن الاعتراف بالخطأ يعزز تلك النظرة الايجابية للعلم ولجوانب الحياة والمجتمع والتي تقود إلى التقدم،

---

[20]– كارل ، بوبر: الحياة بأسرها حلول لمشاكل، ت بهاء درويش،منشأة المعارف ،الإسكندرية،1994،ص234.

21– كارل، بوبر: بحثاً عن عالم أفضل،ص242.

22_ POPPER , Karl , The Open Society and its Enemies ,Vol . I , The Spell of platoPrinceton University press , Princeton , New Jersey , 1971 - p175-176

وأفضل طريق لتقييم هذا التقدم برأي بوبر هو"**المقاربة بين المشكلات القديمة والمشكلات الحديثة**" [23]، فهذه المقارنة هي بداية الطريق في عملية التفكير وهي التي تفتح أمامنا" **أفاقاً جديدة مترامية من المشكلات غير المتوقعة**"[24] .

2_ دعامة السفسطة الذهنية: وهو الأساس الذي يقول احكم بعقلك، يجب عليك "**الاحتفاظ بموقفٍ نقدي إزاء ما تقوم به من أعمال**"[25]، فجميع أفكارنا وأعمالنا حسب هذا المبدأ يجب أن تكون موضع شك لنكتشف أيها الصحيح ، وهنا بالذات تبرز الحاجة إلى الآخرين فهم الذين يستطيعون أن يقدموا لنا هذه الخدمة من خلال تقييمهم لأخطائنا وانتقادهم لها.

تشكل الجدلية الذهنية قاعدة لحرية فكرية مطلقة، والتي تتضمن بدورها التجرد من الشخصية، والابتعاد عن الذاتية بشكلٍ كامل، والتطلع لقدراتنا وأحكامنا كونها قابلة للنقد والمناقشة المفتوحة، ومن ناحيةٍ ثانية إنه الإقرار والاعتراف أن "**كل الآراء قابلة للدفاع عنها وأن كل الآراء متساوية** "[26].

3- دعامة الجرأة واستقصاء الحقائق: وهو المبدأ الذي يقول أن الآخر لا يخيفنا، بل ينبغي علينا الدخول في منافسة مع الأخر تكون حرة، نزيهة، شفافة، بعيدة عن التهكم والأذية والاستخفاف بهم، ولنتفوق عليه علينا بإتباع سياسة النأي عن الاحتفاظ برأينا والتعنت له ، بل يجب التحرك و الانطلاق سريعاً بدءاً من المشاكل البسيطة ، فإما العمل على إعادة صياغتها أو طرح البديل عنها إن وجد.

يبين بوبر أنه إذا أردنا أن نبلغ الحقيقة، مقتربين من السمة العلمية، فعلينا أن نكون أكثر حذراً ونقداً ، وأكثر رفضاً لمفهوم التأطير والقوالب الجاهزة التي تحرم الإنسان من المجازفة والدخول في مناقشات وحوارات منطقية، فبالجرأة وحدها يتقدم العلم وتتطور المعرفة ، ويزداد حظنا في النظر إلى هذا العلم باعتباره عملية نموٍ مستمرة ومطردة.

حسب بوبر ثمة مبادئ ثلاثة لا يجوز التخلي عنها لأنها تعبر عن أخلاقيتنا وتواضعنا , فالمعرفة والحقيقة تقود إلى التواضع والتسامح ، وهما من المبادئ الأخلاقية السامية التي تعزز صرح العلم، وتقوي عزيمته ، وتعلي من مقامه.

هذا و يعرض بوبر في كتابه بحثاً عن عالم أفضل رأياً لفولتير في التسامح عندما سئل ذات مرة عنه مجيباً أنه" **النتيجة الحتمية والمنطقية لإدراكنا إننا لسنا معصومين من الخطأ**[27]، ويتوافق معه في هذا الرأي بوبر منطلقاً من أن فعل الخطأ وممارسته ستكون غريزة فطرية، ولدت مع البشر ولا تزال، وطالما أنهم موجودون ففي كل لحظة ثمة خطأ يرتكب، ولطالما أننا نخطئ، فالطرف الآخر أيضاً يخطىء، "**وحتى أولئك المفكرين العظماء ، فهؤلاء الرجال العظماء ليسوا معصومون من الخطأ** "[28] .

وكما أننا نطالب الآخرين بأن يسامحوننا فعلينا أيضاً مسامحتهم، والتسامح يكمن في المحبة، والرضا، والقبول كما يقول بوبر، لا في التقوقع والانطواء والتعالي، فهل نوافقه الرأي ؟

إن التسامح تلك اللحظة التي ندرك فيها أننا قد أضلينا الطريق و أخطأناه، فعلينا مراجعة أنفسنا قليلاً ولنقف لحظة مع الذات فلعلنا ندرك مع فولتير بأن التسامح لا مكان له مع التعصب، فهو حماقة وتدهور وتدني وعدم تقدم ، وبالرغم من أن بوبر كان قد أوصى بالعنف كما لاحظنا سابقاً ولكن لأغراض تتعلق بالغير، وذلك يكون فقط عندما

---

[23]- كارل ،بوبر: أسطورة الاطار في دفاع عن العلم والعقلانية،ت يمنى الخولي، مطابع السياسة، الكويت، 2003، ص41.

[24] - المصدر نفسه، ص37.

[25] - كارل، بوبر: بؤس الاديولوجيا، ص101

[26]- كارل ، بوبر:التسامح بين شرق وغرب،,ص 86.

[27] - كارل، بوبر: بحثاً عن عالم أفضل،ص242.

[28] - كارل، بوبر: مجتمع مفتوح وأعداؤه ،(انظر مقدمة المؤلف ص5)

تنقلب آراء وإطروحات الآخرين إلى أفعال تضر بالآخرين كأعمال عنف وتخريب وغيرها إلا إنه كان ينبذه، فهل كان ذلك مع كل الأقوام ، أم لبوبر كلاماً أخر؟

للعنف عند بوبر معنيان: أ- المعنى الايجابي: عندما تقضي مصلحة الدولة هكذا ردود أفعال

ب- المعني السلبي:عندما نمارسه عن جهل وعدم دراية ولأذية الآخرين بدل من الدفاع عنهم .

فأي غرض عندما يفوق حدوده يتحول بشكل تلقائي إلى ضده هكذا كان "**العنف المفرط كالحرية المفرطة وكالتسامح المفرط كلهما يأتي بنقيضه** "[29] ، فهل هي دعوة إلى الاعتدال في كل شيء ؟

الاعتدال الذي يتساوي فيه كل الأطراف ،والذي يعيد التوازن إلى الشخص ومن خلاله إلى المجتمع ، الاعتدال الذي يحقق الانسجام والتكيف بين مكونات المجتمع، " **فكما إننا بحاجة إلى الحرية لمنع الدولة من التعسف في سلطتها ، كذلك نحن بحاجة إلى الدولة لمنع تعسف الحرية**[30] "واصلين في نهاية الأمر إلى حال من الثبات والتوازن نكون فيها قادرين على المضي قدماً باتجاه المعرفة الحقَّة الموضوعية العلمية؟

لنستنتج مع بوبر إنه لا قيمة عملية، ولا فائدة تطبيقية دون تطلعات أخلاقية، فالأساس الأخلاقي مهم لبناء النظرية وتقدم العلم ،لكن ألا نلاحظ أن تقدم المعرفة مرهوناً بتقدم الأخلاق؟ وما الاستخدامات المدمرة لنمو المعرفة إلا نتيجة لجهل ولسوء استخدام وانعدام الأخلاق والأمانة العلمية.

الاستنتاجات والتوصيات:

1-إن أطروحة المنهج التكذيبي التي قدمها بوبر شكلت بلا شك تهديداً للمناهج السابقة وخاصةً الاستقرائية التي وصفها بوبر بأنها مجرد خرافة رغم أنها طريقة أثبتت جدارتها لسنواتٍ طويلة في مجال العلوم التجريبية.

2- كما أثبت البحث أن المعرفة العلمية تتطور وفق الطريقة السلبية التي تتضمن عمليات الحذف والاستبعاد والتخلص وليس التأكيد والإثبات.

3- دل البحث على أن الحرية تقام في دولةٍ ديمقراطية .

4- دل البحث على أن العلم يبدأ دائماً من شيء افتراضي مهما كان كمشكلة أو حل أو حتى نظرية .

5- للوصول إلى الحقيقة ثمة طرق عديدة لكن أهمها الطريقة الحوارية والمناقشة العقلية النقدية، اذ يكفي أن يفكر الإنسان بصورة سليمة كي يفعل الخير ويقوم بالواجب ويمارس الفضيلة.

6- أثبت البحث أن الأساس الأخلاقي المرتكز الرئيسي لأي بحث علمي، فلا قيمة للعلم دون تطلعاتٍ أخلاقية، والتقدم الأخلاقي للإنسان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتقدم الفكري، لأن المعرفة تمثل شرطاً أولياً وضرورياً لكل حياة أخلاقية سليمة، وعلى هذا تكون العلاقة بينهما تكاملية وتفاعلية .

7- أثبت البحث أن مفاهيم التسامح والتفاني والجرأة في سبيل الحقيقة ثلاثة مبادئ أخلاقية تأسست العلوم عليها.

8- أثبت البحث أن الخطأ من سمات البشر الأصيلة وبالتالي فهي صفة فطرية وغير مكتسبة .

9- الاختلاف صفة أساسية يتميز بها البشر، واشتراكهم جميعاً في الجهل يجعلهم في نفس المرتبة والسوية.

10- توصل البحث إلى أن المجتمع الذي يبنى على احترام الآخرين، ويقام على المحبة والتسامح ، هو مجتمع تطوري تجاوز كل الأطر المغلقة والمكتسبة والفطرية, و المجتمع الذي يمارس المنهج النقدي هو مجتمع منفتح حر ومتقدم.

11- لقد حصر بوبر كل المناهج والأدوات في أداةٍ واحدة هي الأداة التكذيبية فلا إثبات لأي نظرية ولا صحة لها ،وإنما يتوجب علينا تكذيبها على الدوام، لكنه لم يضع حدوداً أو نهاية لهذه التكذيبات بل تركها مفتوحة ، وهذا يعني أننا سنظل نكذِّب إلى مالا نهاية .

---

[29] – **فؤاد محمد ناصيف، خير بك: من الابستيمولوجيا إلى المجتمع ، مرجع سبق ذكره ، ص 240 .**

[30] – **كارل، بوبر: خلاصة القرن، ت الزواوي بغوره والخضر مذبوح، دار انتاتوليا، القاهرة، ط1، 2002، ص77.**

المصادر (المترجمة إلى اللغة العربية)

1_ بوبر، كارل: اسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية، ترجمة يمنى طريف الخولي، مطابع السياسة، الكويت، 2003.

2_ بوبر، كارل، آخرون: التسامح بين شرق وغرب – دراسات في التعايش وقبول في الآخر، ت ابراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، لبنان، د، ت.

3_ بوبر، كارل، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، ت بهاء درويش ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1994 .

4_ بوبر، كارل، المجتمع المفتوح وأعداؤه_أحاجي أفلاطون، ت السيد نفادي، دار التنوير، بيروت، 1998 .

5_ بوبر، كارل، بحثاً عن عالم أفضل، ت احمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1996 .

6_ بوبر، كارل، بؤس الإيديولوجيا، نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، ترجمة عبد الحميد صبره، دار الساقي، القاهرة ، 1992 .

7_ بوبر، كارل: خلاصة القرن، ت الزواوي بغوره والخضر مذبوح، دار انتاتوليا، القاهرة، ط1، 2002،

8_ بوبر، كارل، منطق الكشف العلمي، ت ماهر عبد القادر محمد علي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986

المراجع:

1_ بدوي ، عبد الرحمن ، مناهج البحث ، النهضة العربية – القاهرة ، 1963.

2–باشلار،غاستون،العقلانية التطبيقية، ترجمة د.بسام الهاشم ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،ط1، 1984.

3_ الجابري، محمد عابد، مدخل إلى فلسفة العلوم، دراسات ونصوص في الابستيمولوجيا المعاصرة ، ج2 ، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 المغرب 1976 .

4 _ الخولي، يمنى طريف، مشكلة العلوم الإنسانية، تقنيتها وإمكانية حلها، دار الثقافة، ط 2 القاهرة ، 1996 .

5 _الخولي، يمنى طريف، فلسفة العلم في القرن العشرين،منيل الروضة،القاهرة، 2000.

6 _ خير بك ، فؤاد محمد ناصيف، من الابستيمولوجيا إلى المجتمع، التاريخانية والمجتمع المفتوح عند بوبر، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 2002.

7 . كورنفوث، موريس، الفلسفة المفتوحة والمجتمع المفتوح ، رد على فلسفة كارل بوبر للماركسية ، ج1، ت : فاروق عبد القادر ، دار الأدب والثقافة ، بيروت ، 1979 .

8_ POPPER , KARL , *The Open Society and its Enemies ,Vol . I , The Spell of plato , Princeton* University press , Princeton , New Jersey , 1971.

9_WILLIAM A. GARTON , *Karl popper and the social sciences,* state university of New York , Pirecs , Albany , 2006 .